

جامعة المنصورة
كلية الآداب

إنشقاق البابوية فى العصور الوسطى
وأثره على الأوضاع السياسية

دكتورة
وفاء بنت عبد الله المزروع
جامعة أم القرى - مكة المكرمة

مجلـــة كليـــة الآداب - جامعـــة المنصـــورة
العدد الحادى والثلاثون - أغسطس ٢٠٠٢

إنشقاق البابوية فى العصور الوسطى

واثره على الأوضاع السياسية

المقدمة:

لقد مرت الكنيسة والبابوية علي مدي تاريخها الطويل في المجتمع الغربي الوسيط بثلاث مراحل رئيسية:

١ - المرحلة الأولي شغلت القسم الأول من العصر الوسيط من أواخر القرن الخامس حتى العاشر، وتميزت بظهور المسيحية وانتشارها، وتأسيس الكنيسة الرومانية والبابوية فى روما.

٢ - المرحلة الثانية شملت الفترة الوسيطة من القرن الحادى عشر إلى الثالث عشر، وسادها الصراع العنيف بين البابوية والإمبراطورية، وبلغت البابوية فيها ذروة مجدها.

٣ - المرحلة الثالثة والأخيرة أى القرنين الرابع عشر والخامس عشر، ومن أبرز أحداثها الفساد الذى تغلغل فى الكنيسة، وتدهور نفوذ البابوية وهيبتها، وظهور حركات الإصلاح الكنسى، مثل حركة يوحنا وكلف فى انجلترا، ويوحنا هس فى بوهيميا،وكان ذلك فى أخريات العصر الوسيط مما هيأ الجو لعصر جديد هو عصر النهضة.

ولسنا بصدد تتبع كل الأدوار التى مرت بها الكنيسة والبابوية إلا في المرحلة الثالثة، وهي مرحلة الانشقاق الديني فى البابوية وأثر ذلك على الأوضاع السياسية فى أوروبا فى تلك المرحلة من العصور الوسطى.

وهكذا تناولت هذه الدراسة الأوضاع فى أوروبا حتى ظهور البابا أنوسنت الثالث ثم التعرض فى الجزء التالى لها للبابا انوسنت الثالث والدور الذى قام به ثم انتقلت الى نبذة عن ابرز رواد الحركة الاصلاحية فالأسر البابلى والنتائج التى ترتبت عليه.

بإحياء الإمبراطورية الرومانية المقدسة في مستهل القرن التاسع وتتويج شارلمان إمبراطورا لها، كانت البابوية قد ثبتت دعائمها، و لم يبق أمام البابوات إلا مواصلة الجهود التى بدأها البابا جرويجوري العظيم والمتمثلة في الصراع العنيف بينهم وبين الامبراطورية حول الأمور العلمانية(١).

وقد امتد هذا الصراع أكثر من ثلاثة قرون، تاركا بصمته الواضحة علي القسم الثاني من تاريخ العصور الوسطي، فالامبراطورية التي أسسها شارلمان بدعوة من البابا ليو الثالث سرعان ما ضعفت بموته سنة ٨١٤ م واقتسامها بين خلفائه، ولكن الظروف لم تلبث ان ساعدت الملك أوتو العظيم (٩٣٦-٩٧٣م) ابن هنري الأول اول ملوك السكسون الألمان، عندما طلب البابا يوحنا الثاني عشر ورجال الدين من أوتو الوقوف الي جانبهم ضد مناونيهم في إيطاليا، وتقديرا لفضله عرض البابا التاج علي أوتو الذى بادر بقبوله راضيا، وكان ذلك إيذانا بتجديد الامبراطوريةالرومانية الغربية المقدسة، والذي يعود الفضل فيه للبابوية، إلا أن ذلك التجديد اضر بالبابويه إذ بدأت مصالح الأباطرة الألمان تصطدم بمصالح الكنيسة والبابوية بسبب اشتباك المصالح الألمانية والايطالية وتداخلها، ومحاولات الأباطرة الألمان تثبيت نفوذهم في إيطاليا علي حساب الباباوات.

وفي تلك الأثناء كانت البابوية تسير سريعا نحو الضعف والانهيار نتيجة عيوب تفشت فيها وفي الجهاز الكنسى، كان من أبرزها انتخاب

(١) حول الصراع بين الامبراطورية والبابوية انظر: عاشور: أوروبا العصور الوسطي، جـ - ١، ط ١٠، القاهرة ١٩٨٦، ص ٣٤٦ - ص ٣٥٧، - Cam med.His V.15 p. 610

الباباوات، وبيع الوظائف الكنسية وانتشار السمونية Simony (الرشوة) وزواج رجال الدين وتدهور نظام الرهبنة والديرية، فاصبحت الحاجة ماسة إلي الإصلاح وظهور المصلحين والمنقذين.

ولقد لاقت هذه الحركة تأييدا كبيرا من الامبراطور هنري الثالث الألماني ١٠٣٩ - ١٠٥٦ م الذى قضي علي التلاعب في مسألة انتخاب الباباوات، وله يرجع الفضل في إعتلاء ليو التاسع ١٠٤٩-١٠٥٤ كرسي البابوية، ذلك البابا الذي انتعشت البابوية في عهده وعادت الي سالف قوتها ومجدها.

وخلفه البابا جريجوري السابع ١٠٧٣ - ١٠٨٥(١) الذي استقلت البابويه في عهده استقلالا تاما من الناحيتين الدينية والدنيوية، ولقد عمل البابا جريجوري السابع علي تنقية البابوية من عيوبها، وتطهير الكنيسة من الشوائب التي علقت بها، لتسمو البابوية علي أى نفوذ آخر حتي لو كان نفوذ الامبراطورية نفسها.

وفي الوقت الذي كان يجلس فيه علي عرش الامبراطورية الالمانية طفل صغير هو هنري الرابع ١٠٥٦-١١٠٦م كان البابا جريجوري السابع يجدها فرصة سانحة استغلها لفرض نفوذه الدنيوي والديني علي إيطاليا كلها والعمل علي إعلاء كفة البابوية علي الإمبراطورية وكان ذلك إيذانا ببداية الصراع المرير بين هاتين القوتين العالميتين في العالم المسيحي حول الأمور الدنيوية.

ولقد عانت من هذا الصراع المسيحية وكانت له أسوء العواقب

---

(١) للمزيد عن ابابا جريجوري السابع انظر: Cam - med. His. Vol. 5.p. 61
عاشور: أوربا، ص ٣٤٦، ULLmanu: the Growth of papal Govern mentin the Middle Ages london - 1955. p. 271

بالنسبة للكنيسة والبابوية، وأدي في أواخر العصر الوسيط إلي انحلال الكنيسة والخروج علي سلطانها وتدهور البابوية والقضاء علي سلطة البابوات.

وعلي أية حال ففي عام١٠٧٥ قم النزاع بين البابا جريجوري السابع الإمبراطور هنري الرابع حول مسألة التقليد العلماني وانتهي برضوخ هنري لمطالب البابا.

ويأتي بعد جريجوري البابا أوربان الثاني ١٠٨٨ - ١٠٩٩ الذي افتتح عصر التوسع الصليبي ضد العالم العربى الإسلامي في مؤتمر كلير مونت ١٠٩٥م وأوقع الحرمان ضد فيليب الأول ملك فرنسا وهدد وليم الثاني ملك إنجلترا بالحرمان لخروجه علي تعاليم الكنيسة اللاتنية، وواصل سياسة سلفة جريجوري ولم تكن علاقته بالإمبراطور الألماني هنري الرابع طيبة. بل قامت بينهما منازعات انتهت بانتصار أربان الذي أصدر قرار الحرمان الكنسي ضد هنري، وفي هذا الصراع خرجت البابوية منتصرة لتبدأ مرحلة ثانية(١)، وذلك في عهد الامبراطور هنري الخامس (١١٠٦ - ١١٢٥) الذي سعي للتحرر من البابوية، وانتهي الأمر بعقد اتفاقية ورمز Worms سنة ١١٢٢م بينه وبين البابا كاليكستوس الثاني Calixtus 11 ١١١٩ - ١١٢٤م التي بمقتضاها تم حل مشكلة التقليد العلماني، ولكن هذا لا يعني زوال الأسباب الرئيسية الجوهرية للنزاع بينهما، فقد كان كليمها يتنازع السلطان الأعلي علي العالم المسيحي.

ثم بدأت المرحلة الثالثة من النزاع بتولي فردريك الأول باربروسا

---

(1) - Hayward (F): A History of the popes, London 1931. p163.[1]
(2) - Thompson: The middle Ages. v.2 London 1931.p.400.

عرش الإمبراطورية في ١١٥٢م الذي امتد حكمة حتي سنة ١١٩٠م، وكان السبب تدخل الإمبراطور الألماني في حكم إيطاليا، وقد انتهي النزاع بهزيمة فردريك ١١٧٤ - ١١٧٦م أمام حلف المدن اللمبارديه المنحاز إلي صف البابا للحصول علي استقلالها، كما أذل جريجوري السابع هنري الرابع، وكذلك فعل البابا اسكندر الثالث ١١٥٩ -١٨٨١ بالإمراطور فرديك بارباروسا.

ثانيا: البابا انوسنت الثالث ودورة في الصراع:

استمر الحال على هذا المنوال حتي اعتلي كرسي البابوية شخصية من أقوي شخصيات العصور الوسطي هو البابا انوسنت الثالث Inno- III cent ١١٩٨ - ١٢١٦م.

والذي بلغت البابوية أوج سلطانها زمنه وقد كان معتزاً برومانيته، واقتعد الكرسي البابوي منذ السابعة والثلاثين من عمره، فاستغل ما غشي الإمبراطورية من أفول مؤقت، فرفع من شأن البابوية وفرض الكنيسة الرومانية الكاثوليكية فرضا علي القسطنطنية وكنيستها الأرثوذكسية،ولم يتهيب بأن ينزل الحرمان الديني بإنجلترا أو فرنسا، وأن ينجح في آثارة ملوك أوربا لمساعدة الفونسو الثامن ملك قشتاله في حملة صليبية أوربية ضد الموحدين حكام أسبانيا الإسلامية وهي الحملة الصليبية التي أنتهت بهزيمة الموحدين في موقعة لاس ناباس دي تولوزا (العقاب) سنة١٢١٢م، وأن يحصل من ملوك إنجلترا وأرجوان والبرتغال علي الاعتراف بأنهم يتولون حكم بلادهم إقطاعا من الحضرة البابويه ولم يحجم ايضا عن امداد قرار الحرمان لحنا ملك انجلترا من رحمة الكنيسة، ثم قام بطرد الألمان من أوسط إيطاليا

وصقلية، وحفظ حقوق وصية فردريك ابن هنري السادس في مملكة صقلية، وأثار حربا مروعة بين الأهالي في ألمانيا، وأخذ يعين الأباطرة وفقا لشروط ملائمة للكنيسة، وعمل جاهدا في القضاء علي الهرطقة الألبجسنية(١) التي انتشرت بجنوب فرنسا حتي هدمها وأهلها فهدم بذلك حضارة شعب ذي همة ونشاط.

والسر في هذه الأعمال التي قام بها انوسنت الثالث اعتقاده الجازم أن البابا خلفية المسيح في الأرض وأن الباب ملك في أمور الدين والدنيا وأن له سلطه مطلقة في كل شيء، ومن حقه أن يكون اختيار الإباطره وقفاً علي مشيئته (٢).

ولم ير أحد من معاصري إنوسنت في هذه الراء شيئا استبداديا أو خارقا للمألوف، إذ جري العرف القديم علي ان السلطة الروحية تسمو على السلطة الزمنية وأن البابا في المسحية هو الملاذ الأعظم والموئل النهائي في كل الامور المتعلقة بالعقيدة والنظام الكنسي(٣) ولا قبل لكائن من كان أن ينكر ماللبابا من قدره علي حرمان الملوك من رحمة الكنيسة، فضلا عن دك المجتمع ونظامه في أية دولة بإحلال اهلها من واجب الولاء والطاعة لملوكهم، أو بتطبيق عقوبة الحجر الصارمة علي بلادهم، وذلك أن أهل القرن الثالث عشر الميلادي وافقوا علي أنه لابد من سلطة مركزية في الدين، بحيث تكون تلك السلطة هي الفصيل الروحي الأعلي في الشئون الدينية، والمصدر الذي تنبع منه القدسية والعدل والمحكمة العليا يرفع الناس إليها ظلاماتهم.

---

(١)للمزيد عن الهرطقة الالبجسنة:

James Hastings: Encycclopeadia and Ethica v. I. New york 1954, B. Hamilton the medieval Inquistion London,1981.,

عبد الغني محمود عبد العاطي : الحملة االالبجنسية ، جامعة صنعاء ، كلية الاداب

(٢)موريس كين : حضارة- أوربا العصور الوسطى، ترجمة عبده قاسم، ص ١٤٦ - ص ١٥٨

Luchaire E: innocent III paris, 1905

(٣) هـ . فشر : تاريخ أوربا في العصور الوسطي، ط٥، دار المعارف، مصر، ص٢٣١ - ص ٢٣٢.

والواقع أن المشكلة التى واجهتها البابوية فـ القرن الثالث عشر الميلادي هي مشكلة العثور علي أضمن الوسائل التي تكفل لها السيطرةعلي مجتمع أصبح وافر المعروفة من أثر الحروب الصلبية، كما أضحي علي شيء من الخبرة بفضل الأسفار والجري وراء اللذات بالإضافة إلي ما تفتح له من أفاق واسعة بالشرق الأدني وما وراءه من البلاد وما استتبعه ذلك من تطور هائل في الأهداف السياسية، فضلا عن النشاط الفكري فى الحياة العقلية ذلك أن عصر أنوسنت الثالث وافق عصرا باهرا في نمو الشعر القومي في اللغتين الالمانيةوالفرنسية وهو شعر يدين بدوافعه إلي الحروب الصلبية.

إضافة إلي ظهور الروح العلمانية الجديدة وحركة الإحياء الإنجيلي وحركة الهرطقة[١]، كما أخذ أنوسنت الثالث يجري وراء مشاريع دنيوية ضخمة دون أن يأبه لما راح في سبيل تلك المشاريع من دماد كالدور الذي قام به أنوسنت فترة التنافس علي الامبراطورية بين أتو الرابع وفيليب أخي هنري السادس مما أدي إلي فتنة داخلية دامية في المانيا من سنة ١١٩٧ - ١٢٠٩م [٢].

لقد استطاع أنوسنت الثالث(١١٩٨ - ١٢١٦) أن يلعب دوره بمهارة في السياسة العالمية لغرب أوريا وأن يفرض كلمته علي أعظم حكام الغرب، بل الشرق المسيحيين، ولقد أسهم بقسط وافر في توجية سياسة الإمبراطورية الرومانية المقدسة عندما ناصر أوتو ضد فيليب هوهنشتاوفن فلما وصل أتو الرابع إلي العرش وتنكر للبابونة أتجه أنوسنت الثالث بسرعة نجو فردريك الثاني واتخذه سلاحا للقضاء علي خصمه[٣].

---

(1) cam- med. His. V.p.p. 49-71- Kelly: Oxford dictionary of popes, Paris, 1911.

(٢) فيشر :نفس المرجع ص ٢٣١ - ٢٤٠.

(3) cam-med his,v6p.p.45

فيشر: تاريخ أوريا العصور الوسطي، ص ٢٤٠

وفي فرنسا اخذ أنوسنت الثالث يمد أنفة في شئونها الداخلية علي عهد ملكها فيليب آغسطس حتي إذا ما أراد فيليب أن يقف حازما من البابوية إذا بالبابا أنوسنت الثالث يوقع قرار الحرمان علي الملك فيليب سنة ١٢٠٠م عندئذ أضطر فيليب إلي الإذعان وإصلاح أموره مع البابوية حرصا علي مكانته ومكانة دولته.

أما إنجلتر فلم تنج هي الاخري من سيطرة البابا أنوسنت الثالث وعناده كما في موقفه من الملك حول تعيين أساقفة كانتر بورى سنة ١٢٠٧م، حينما أصر البابا علي رفض مرشح الملك واصدر ضده قرار الحرمان ١٢٠٨ - ١٢٠٩، ولم يكتف بذلك بل استحث فيليب أغسطس ملك فرنسا علي غزو إنجلترا مما جعل الملك حنا يذعن سنة ١٢١٣م لرغبة البابا.

وفي الشرق كان موقف البابا أنوسنت الثالث داعما لاستيلاء رجال الحملة الصليبية الرابعة علي زارا ثم علي القسطنطنية ١٢٠٤م، مما أدي الي قيام الامبراطورية اللاتينية في القسطنطنية علي أنقاض الدولة البيزنطية وصارت البابوية تتحكم في إسقاط الأباطرة وإقامة غيرهم، وخضع ملوك أوروبا لكلمتها، ولا نبالغ إذا قلنا أن الحاكم الفعلي للعالم المسيحى عند مستهل القرن الثالث عشر كان البابا أنوسنت، بعد أن أصبحت الإمبراطورية تحت رحمته، وبعد أن دانت له كل دول الغرب بالولاء [١].

ومن أهم مظاهر السيادة البابوية في تلك الفترة اتساع نشاط المحكمة البابوية [٢] في روما، حتي صار الكثيرون يلجئون إلي روما

---

(١)- سعيد عاشور: أوروبا العصور الوسطي،ج١ ، ص٥٠٧.
(2) Hayward, F: A History of popes.p.164.

فى القضايا الصغيرة والكبيرة علي حد سواء، فاتخذ القانون الكنسى صفة عالمية من جهة، كما أصبحت البابوية على صلة وثيقة ببقية أطراف العالم المسيحى من جهة أخرى وقد توسعت البابوية في ذلك العصر في نظام المبعوثين أو المندوبين، فكان البابا يرسل مندوبا أو أكثر إلي أية جهة من جهات العالم المسيحي لحل مشكلة، أو تحقيق مسألة، أو إبلاغ رغبة البابوية، وعن طريق هؤلاء المبعوثين استطاع البابا أن يقف علي أحوال الكنيسة المسيحية في مختلف البلاد الأوربية، وأن يضمن تحقيق مصالحه وتنفيذ رغابته(١).

وفي الواقع أن هذه الإدارة البابوية المترامية الأطراف كانت في حاجة إلي مالية ضخمة تسد مطالبها وتفي بمظاهرها، وهنا أستطاع البابا أن يحصل من الاملاك والأراضى البابوى على نفس العوائد والرسوم التى حصل الملوك والامراء من أراضيهم، زيادة علي الاموال التي حصلت عليها البابوية من الاديرة والملوك والامراء الذين ينشدون حمايتها في مختلف أنحاد أوروبا. كذلك اعتادت بعض الدول الغربية وحكامها أن يدفعوا ضريبة سنوية معينة للبابوية، وأضيف مورد مهم نتيجة للرسوم القضائية التي تفرض علي المتقاضيين، ثم جاءت الحروب الصليبية لتهيئ للبابوية موردا جديدا ضخما، بالاضافة إلي صكوك الغفران التي أكثرت البابوية من بيعها لطالبي التوبة والمغفرة والتي كان يتقاضاها البابا عند تقليد رجال الدين مهام مناصبهم الجديدة فإذا ما راعينا هذا كله أدركنا في النهاية آن البابوية لم تحرم وجود مصادر عديدة أمدتها بما أحتاجت إليه من أموال تفى بمظاهرها ومطالبها (٢)

(1)سعيد عاشور: أوروبا العصور الوسطي، ج١، ص٥٠٧- ص ٥٠٨
Painter: A History of The middle ages, p.295.
Lu chaire, e:innocent III, Paris1905,

(2) عاشور: المرجع السابق ص٥٠٨.

إلا أن هذا التوسع المادي وما حقق من انتصارات كان يحمل بين طياته بذور الضعف والخذلان، ذلك أن الكنيسة اللاتينية تفشي فيها الفساد ، وخرجت البابوية عن رسالتها الروحية مما أثار الشكوك فى أذهان الناس حول الكنيسة وتعاليمها والبابوية وتصرفاتها،وبدأ نجم البابوية في الافول، وسارت حالة البابوية منذ ذلك الحين من سئ إلي أسوأ، في وقت كان فيه العالم يتغير تدريجيا.

ثالثا : بداية الانشقاق الدينى وظهور الحاجة إلى الإصلاح:

ترك البابوات روما إلي المنفى في مدينة أفينون الفرنسية لمدة سبعين عاما أو يزيد ١٣٠٥-١٣٧٨م، وانقسم رجال الكنيسة علي بعضهم فحدثت القطيعة الدينية الكبرى the Great schism ١٣٧٨-١٤١٧م وأخذت تعقد المجالس الدينية لإنقاذ ما يمكن إنقاذه، وترتفع الأصوات الحرة الجريئة المنادية بضرورة الاصلاح، هذا في الوقت الذي اخذ فيه الناس في التخلي عن البابوية، نتيجة انصرافها عن رسالتها الروحية علي حساب الحكام والملوك والأباطرة الذين أذلتهم بأسلحتها من حرمان ونقمة ولعنة بغير حساب(١)

وكانت الحركات الإصلاحية ترمي في أول الامر الي إصلاح أحوال رجال الدين مطالبة بالعودة إلي فضائل المسيحية والتقوي والعفة والطهارة، ثم تطورت إلي الحرص علي التخلص من سيطرة السلطات الزمنية وجعل البابا زعيم العالم فينبغي أن يخضع لسلطانة جميع

---

(١) جوزيف نسيم: تاريخ العصور الوسطي الاوربية وحضارتها، الاسكندرية ١٩٨٨م، ص١٨٥-ص١٨٨.
رانسيمان: الحملات الصليبية من كلير مونت إلي أورشليم، ترجمة نور الدين خليل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٤م ،جـ١ ,١٥٢.
أرنست باكر: الحروب الصليبية ، ترجمة السيد البازالعريني، دار النهضة، بيروت ،ص٦.

المسيحين، يشترك في ذلك الامراء والفرسان حينما أصبحت الاحوال الدينية على أشد ما تكون من القلق والاضطراب، والمؤسسات الدينية غدت راضية بالانغماس في إدارة ممتلكاتها، وبيع أصواف أغنامها والاضطلاع بمختلف المسئوليات التي تنجم عادة عن امتلاك الارض، وادهي من ذلك أن أعظم البابوات أخذ يجري وراء مشاريع دنيوية ضخمة دون أن يأبه لما راح في سبيل تلك المشاريع من دماء، وحارت العقول من هول الاختلاف ببين ما كانت علية المسحية الاولي، وما أصبحت فيه الكنيسة من غني ودعه، وذاعت التنبؤات بين الناس باقتراب عصر عماده المحبة فانتشرت بين الطبقات الفقيرة التى لم يمسسها شئ من التعليم، حتي أصبح في إيطاليا الكثى من الناس يتلمسون شيئا يستطيعون الركون إليه دون أن تستطيع البابوية أن تمدهم بشيء[١].

(1) - Barraclou (G H): Papa provisions in the late middle ages. Oxford. 1935.

الاسر البابلى:

بلغ النفوذ البابوي ذروته في القرنين الثاني عشر والثالث عشر، إلا ان البابوية سرعان ما تعرضت لهزات عنيفة زلزلت عرشها واضعفت مركزها وهيبتها، وان يكن هناك اسباب عديدة ادت الي ضعف مركز الكنيسة بوجه عام والبابوية بوجه خاص الا انه كان هناك سبب واحد جدير بالعناية والاهتمام الا وهو تطور العقلية الاوروبية والمجتمع الاوروبى بوجه عام، فالآفاق الجديدة التي أخذت تتفتح امام الغرب نتيجة للنشاط التجارى والتطور السياسى وتدفق العلوم الجديدة التى احتضنتها الجامعات الناشئة، هذه التيارات جميعها جعلت الغرب الاوروبي ينشغل عن الكنيسة وتعاليمها وقيودها ويتجه نحو حياة اكثر حرية. واوسع افقا.(١)

فالاتجاهات الاقتصادية المتنامية لمدن أوروبا امست تتعارض بشكل واضح مع ما تأمر به الكنيسة، والتهافت علي طلب الارباح خلف تناقضا قويا بين رغبات الافراد وايمان ولم يعد لتعاليم الكنيسة فى مكافحة طلب الارباح الوفيرة ذلك الوازع الخلقى بالاضافة إلى ان الصراع التاريخى بين البابوية واسرة هوهنشتاوفن حكام المانيا والذى انتهى بانتصار البابويةسنة ١٢٦٨م لم يكن فى حقيقته الا نصرا وهميا إذ استبدلت البابوية التسلط الالمانى بالفرنسي.

كما ان ازدياد الاتجاهات العلمانية لدورل اوروبا الغربية وسعي الملوك لفرض سيادتهم المركزية فى داخل اقطارهم ادى الى الاصطدام مع السلطة العليا المتمثلة فى كنيسة روما، وذلك بمحاولة تلك السلطات السياسية الاغارة على الامتيازات الاقتصادية والقضائية التى تتمتع بها

(1) - Painter: A History of the middle ages. p. 408.

الكنيسة داخل بلداتها وادت هذه الظاهرة الى صراع بين البابوية وكل من انجلترا وفرنسا [١].

ولقد اتسمت سياسة البابا بونيفاس الثامن ١٢٩٦ - ١٣٠٣[٢] بتصرفات أثارت علية النقمة، وأدت سياسته الى انتكاسة كبرى فى العلاقات بين انجلترا وفرنسا.

إذ احتاج كل من الملكين إدوارد الاول الانجليزي، وفيليب الرابع الفرنسي[٣] المزيد من الأموال نتيجة لحربهما معا. لهذا فرض أدوارد الأول جباية خمس واردات الكنيسة في بلادة، بينما جبي فيليب واحد بالمائة ثم أثنين بالمائة من مجموع واردات الكنيسة في فرنساثم عاد النزاع بين السلطتين الروحية والزمنية في فرنسا ظاهرا هذه المرة في التناقض بين الامتيازات القضائية للبابونية وبين سياسة فيليب

(١) عبد القادر اليوسف: العصور الوسطي الأوروبية ٤٧٦-١٥٠٠ بيروت، ١٩٦٧م، ص ٣٠٢ ص ٣٠٣.

(٢) في تلك الفترة جاء رجل قوى اسمه الاصلى، بندكت جيتانى الذى توج للبابويه باسم بونيفاس الثامن (١٢٩٤-١٣٠٣م) كان شخصا متعاليا كثير الطموح وقيل إنه وزع المناصب العليا والثروات فى روما على أقاربه وكان مثله مثل البابا نيقولا الاول، وجريجورى السابع، وانوسنت الثالث الذين اشتهروا بآرائهم الواضحة فيما يتعلق بالكنيسة والبابوية وسيادتها على كافة القوى، وإذن الكنيسة يجب ان تتدخل فى كل أمر، وتتولى الحكم الزمنى وأن تكون الدولة التى أسسها المسيح لها السيطرة على تلك التى أسسها الملوك بمعنى ان دولة الكنيسة تسبق الدولة العلمانية وان من حق البابا تعيين رجال الدين فى مناصبهم الدينية والدنيوية على السواء، وان من حقه عزلهم منها، وهذا من الاسباب الرئيسية التى أدت الى بداية الكفاح المرير بينهم وبين الاباطرة.
هـ. أفشر: تاريخ اوروبا العصور الوسطى، ط ٥، دار المعارف القاهرة، ص ٢٣٤.
جوزيف نسيم: تاريخ العصور الوسطى الاوروبية وحضارتها، ص ١٩٩ - ٢٠٠.

(٣) W.durant: The age of faith-325-1300(.N.4.1950) p.812.
عبد القادر اليوسف: العصور الوسطي الأوربية، ٤٧٦-١٥٠٠ بيروت،١٩٦٧م، ص٣٠٢-ص٣٠٣.

(4) Slrayer and munro: The middle ages- 395-500 (IV. 4. 194) p. 404.
Lavisse: op. cit. tom. 3. Deuxieme Partie. p. 123.
عاشور: أوروبا، ج١، ص ٥١٠.

المركزية، إذ أمر فيليب الرابع بإلقاء القبض علي أسقف مدينة باميية بتهمة التحريض علي الثورة، وهنا رأي البابا ذلك هجوما سافرا علي حصانة رجال الدين وتعديا واضحا، فقام بإصدار مرسوم بابوى في ١٣٠١ م ألغي فيها كافة التنازلات التي أجراها سابقا لملك فرنسا.

ثم وصلت العلاقات بين الطرفين درجتها الحرجة ١٣٠٣م حيث عقد فيليب الرابع اجتماعا أتهم فيه البابا بالطغيان والشعوذة وسفك الدماء والكفر وطالب بإقالته من قبل مجمع ديني، ثم أرسل الملك سرا أحد أعوانه المسمي نوجاريت Nogaret إلي ايطاليا من أجل اختطاف البابا وجلبه مفخورا الي فرنسا من أجل محاكمته وتمكن نوجاريت بمساعدة عدو البابا سكيار كولونا من أقتحام القصر البابوي في أنانيAnagniسنة ١٣٠٣م فوجد البابا علي فراشة حاملا الصليب، وقال لأعدائة (دونكم عنقي، دونكم رأسي) وكان عمره خمسا وسبعين سنة، وقد بقي أسيرا فى قصرة ثلاثة أيام وقام أثناءها فرسان كولونا بنهب القصر البابوي، وعند ذاك هب سكان أناني بقيادة رئيس أسرة أورسيني لتحرير البابا، وبالرغم من نجاح أورسيني في مهمتة والانتقال بالبابا إلي روما إلا أن البابا توفي ١٣٠٣م بعد ثلاثة أيام متأثرا من هول الصدمة.

وقد أصدر البابا الذي خافة إلا وهو بندكت الحادي عشر ١٣٠٣ - ١٣٠٤م قرار الحرمان ضد نوجاريت وعصابته، ثم وافت الفرصة فيليب

(١) في هذه الأثناء شهدت أوروبا جربا عاتية بين فرنسا وانجلترا حول دوقيه غسقونيه (جسكونيه) ولذا فإن كلا من الملك الفرنسي فيليب الرابع ١٢٨٥-١٣١٤م والملك الإنجليزى إدوارد الأول ١٢٧٢- ١٣٠٧ قررا فرض ضريبة على رجال الدين كل فى مملكته لسد الحاجة إلى المال والرجال والأسلحة.
اسحاق عبيد: أوروبا في بحر الظلمات، ص١٤٢.

(2) c. orton: Ahistory of Europe, 1198- 1378 london. 1965. p.p. 233-243.
عبد القادر اليوسف: المرجع السابق، ص٣٠٥- ص٣٠٦.

الرابع عند وفاة بندكنت الحادي العشر إذا وقع الاختيار علي انتخاب رئيس أساقفة مدينة بوردو المعروف باسم برتراند دي كوتBertrand de got إلي البابوية وتم الاتفاق معه مقابل الحصول علي تأييد الملك الفرنسي لبابويته، وتعهد برتراند باتباع سياسته معتدلة تجاه فرنسا وأن يرفع التحريم عن نوجاريت وعصابته، وأن يسمح في جبانة الأراضي الكنسية في فرنسا بنسبة ١٠ ٪ سنويا، وأن يشجب تصرفات بونفياس، وعرف برتراند بعد ذلك باسم البابا كليمنت الخامس ١٣٠٥ - ١٣١٤م(١) وقا بنقل المقر البابوي من مدينة روما إلي مدينة أڤينيون Avignon بناء علي رغبة كل من فيليب الرابع واقتراح الكرادلة الذين كان معظمهم من الفرنسيين.

وتقع مدينة أفينون علي مقربة من الحدود الفرنسية، وكانت تتبع نظريا من ناحية إقطاعية إلي برغنديا التابعة للإمبراطورية الرومانية المقدسة، غير أن النفوذ الملكى الفرنسي كان سائدا فيها، وعرفت تلك الفترة باسم الأسر البابلي Babi Lonian Captivity للاعتقاد السائد بأن إقامة الباباوات في أفينون كانت إجبارية وتحت النفوذ الفرنسي تشبيها لها بسبي بني إسرائيل من قبل الملك بختنصر وإكراههم علي السكن في بابل، ولقد عاش باباوات الاسر البابلي فى أفينون حياة كلها بذخ وإسراف وجلبت عليهم تلك الإقامة التهم بأنهم صناع ملوك فرنسا، ولاهم لهم سوي طلب المزيد من الأموال(٢) ومن الواضح أنه كان من المفروض أن يذهب كليمنت الخامس ليجري المراسيم الخاصة باعتلائة منصب البابوية في روما، أو علي الأقل يذهب بعد إجراء هذه المراسيم إلي مقر كرسية البابوى، ولكنة أختار البقاء في إفينون علي

(1) Stephenson: med His Newyork- 1943- p.502 .
(2) Pirenne : La Fin du mayen ages: Tom,1.p. 53.

نهر الرون ليتخذ من هذه المدينة مقرا جديدا للبابوية، وهكذا أصبحت البابوية التي قهرت الإمبراطورية الرومانية المقدسة وآل هو هنشتاوفن(١) فرنسية بعد أن وليها بابا من أصل فرنسي، أحاطت به بطانة من الكرادلة الفرنسيين، وعاش في بقعة تتكلم الفرنسية وتقع علي الحدود الفرنسية وبذلك أصبح كلمنت الخامس يتصدر في التاريخ قائمة من ستة باباوات فرنسيين اتخذوا افينون مقاما لهم(٢) حتى عاد أخيرا البابا جريجوري الحادي عشر إلي روما سنة ١٣٣٣م وعندئذ انتهت فترة الاسر البابلي ولقد حكم ستة بابوات الكنيسة لرومانية الكاثوليكية في أفينون ولكنهم لم يكونوا محبوبين من أولئك الذين لم يكونوا فرنسيين لا سيما من الإنجليز الذين كانوا في حرب مع فرنسا، ومن الايطالين الذين شعروا أن إقامتهم في أفينون تافهة بالنسبة لممتلكاتهم وكان السته كلهم رجالا أكفاء مستقيمين ومخلصين مهتمين بصالح العالم المسيحي، ففي الفترة التى كانت فيها المشاكل التي جابهت البابوية صعبة وقاسية بشكل خاص، وجد الباباوات أنفسهم مضطرين للتدخل في الامور التى لم تكن في صالحهم.

أما آهم ما وفرته لهم الاقامة فى افينون فهو خلاصهم من خصم الاضطرابات الايطالية وحروبها وكان هذا هو السبب الرئيسي لبقائهم فترة طويلة فالامن والهدوء في وادي الرون وفر لهم فرصة ذهبية لتنظبيم أمورهم وكان هذا سبب التطور الذي يعد من أهم خصائصهم ،ووصلت منه البابوية إلي قمة كفاءتها الإرادية، وكان ذلك التوسع أشد وضوحا علي الجانب المالي وسيطرة البابوية علي ترقيات القساوسة وتعييناتهم(٣).

(1) S. Painter : History of the middle ages-284-1500 london 1963.p.405.
(2) Hay ward, F: A History of popes. p. 163.
(3) S. Painter: op. Cit. p. 405.

لقد اضطر البابوات في أفينون لطلب المزيد من الاموال نظرا لانقطاع قسم كبير من مواردهم الايطالية، بالاضافة لتزايد مصاريف القصر البابوى، وزادت النقمة علي البابوية للأساليب المشددة التي أنبعثت في جباية الضرائب الدينية ولزيادة نسبة المساهمات المادية لرؤساء الاساقفة عند أول تسلمهم المنصب، وكذلك كان الامر بالنسبة لروساء الاساقفة والمضاعفة لأجور القضائية ولتوزيع المناصب الادارية علي المقربين من البلاط البابوي الذين اصبحوا يشكلون فئة من الموظفين لاهم لهم سوي جمع الاموال تحت ستار ديني.

وأثارت سياسة باباوات افينون الاقتصادية إنجلترا وخاصة أن هناك علاقات عدائية مع فرنسا بسبب حرب المائة عام منذ سنة ١٣٣٦م لهذا أصدر البرلمان الانجليزي قانونا سنة ١٣٥٢م أن كل من يتسلم منصبا دينيا في إنجلترا من البابوية يكون عدوا للإنجليز وملكهم، وقد قدرت العوائد المالية للبابوية فى إنجلترا سنة ١٣٧٦م بأنها آكثر من ميزانية الملك بخمسة أضعاف(٣).

ولم تكن التهم الموجهة إلي باباوات آفينون بأنهم صنائع ملوك فرنسا لتباعد الحقيقة لان اعتلاء رئيس اساقفة بوردو كرس البابوية والاقامة في أفينون كان بتأثيرات من فيليب الرابع وحاشيته، ونتييجة لذلك بعد سنوات من المماطلة ألغي البابا كافة المراسيم التى أصدرت ضد فيليب واتباعة، وصرح بأن سياسة الملك الفرنسي إزاد بونيفس كانت عين الصواب.

(1) G. Leff: medieval though from st. Augustin to okcham middle sex 1962. p. 280 .
(2) Orton: op. cir. P. 237.
(3) Orton: A. History of Europe 1198- 1378. London 1960- p. 237-238.
Strayer and munro: op. cit. p. 426.

ولقد آستخدم فيليب الرابع السلطة البابوية لتحقيق مصالحة المالية علي حساب ثروات فرقة فرسان المعبد في فرنسا.

وهكذا وبينما كانت أفينون ترفل في رخاء مادى أمست روما في أزمات شديدة، فلقد كانت الحياة في أفينون أسهل مما كانت عليه في روما، فإذا كانت روما قد وقعت فريسة للمؤامرات والمنازعات حتي غدت البابوية في أواخر القرن ١٣ تحت رحمة كبار الأمراء، فإن افينون كانت في مامن من كل ذلك ولا سيما بعد أن أشترها البابا كلمنت السادس سنة ١٣٤٨م وأصبحت ملكا للبابوية، وهكذا قبع باباوات أفينون في مقرهم الجديد حيث شيدوا قصرا للبابوية علي ضفاف الرون أصبح أية من آيات الفن المعاصر، كما أحاطوا مدينتهم الجديدة بسور منيع يكفل الامن والطمأنينة، علي أن الامن والسلام الذي تمتعت به البابوية فى أفينون كانا لايعادلان في أى حال الخسارة الادبية العظمي التي لحقت بها لبعدها عن روما [١]. فالبابوية استمدت نشأتها وأهميتها في نظر العالم الغربى من كرسى القديس بطرس فى روما، لذلك كان حرمان البابا من هذه الصفة(كونه خليفة القديس بطرس) سببا في قطع الصلة بينه وبين المنبع الأساسي الذي استمدت منه البابوية أولويتها علي بقية اسقفيات الغرب، هذا إلا أنه من المبالغة أن نتصور أن البابوية تمتعت بحريتها كاملة أثناء إقامتها في أفينون [٣] لأن هذه المدينة وآن لم تكن تابعة لفرنسا سياسيا الا أنها كانت محاطة بممتلكات ملوك فرنسا من أسرة كابية، مما جعل باباوات آفينون يبدون في نظر

---

(1)Cam- med- His v.6.p.272.-
-Stephenson: med His-p.p.502-503.
(2) painter: A Hisory of the miggle age.p.408
Stephenson: med. His. p.p.502-503, painter: A.History of the middle ages. p408.

المعاصرين صنيعة لملوك فرنسا بل سجناء تحت سلطاتهم.

أما روما فقد أمست في أزمات شديدة وذلك لانقطاع الحجاج عنها ولاضطراب الأمن لصراع الفئات الأرستقراطية من أجل السلطة، لذلك ظهرت حركات عديدة تنادي بأحياء مجد روما وجعلها العاصمة الروحية والسياسية للعالم المسيحى ثانية، وتمكن القائد الشعبى كولادي رنزىColadi Renzy من إعادة الامن والقضاء علي التنافس الامراء ١٣٤٧م، ونال تأييد رجال الدين فى روما، ولكنه فشل بعد ذلك، وقام الكردنيال البورنوزAboranozسنة ١٣٥٤م بالهيمنة علي روما وإعادة ولائها للبابوية[١].

حببت السياسة التي أتبعها البورنوز إلي الباباوات فكرة الرجوع إلي المقر القديم في عهد البابا أوربان الخامس ١٣٦٢ -١٣٧٠ خاصة وأن أفينون لم تعد ذلك المركز الامين، كما كانت علية في النصف الاول من القرن الرابع عشر إذ أدت حرب المائةعام ومانتج عنها من أنتشار عصابات اللصوص المسلحة إلي تعريض أفينون إلي الخطر، كما أمست تلك المدينة هدفا لقطاع الطرق.

واستهدف البابا من الرجوع إلي روما العمل علي الاصلاح الكنيسي وتوجية الدعوة من المركز المسيحي القديم لمواصلة الكفاح الصليبي ضد العثمانيين.

وقد سافر البابا أوربان آلخامس فعلا إلي روما سنة ١٣٦٧م بالرغم من تحذيرات الحكومة الفرنسية ومعارضة الكرادلة فاستقبلته روما استقبالا حافلا، ولكن سرعان ما تجددت الاضطربات والمؤامرات

(1) عاشور: أوربا العصور الوسطي، ط، ص٥٢١.
Orton: A Historg of Europe-1198-1378.5p.Cit.237-238.

فعاد إلي أفنيون بعد سنتين، ومع ذلك فقد راودت فكرة العودة رلي روما خلفة البابا جريجورى الحادي عشر ١٣٧٠-١٣٧٨م وما أن حل في روما بضعة أشهر حتي كان يعد العدة للانهزام إلى أفنيون ولكن الموت داهمة[١].

ولم تكد البابوية لتنتهي من فترة الاسر البابلي سنة ١٣٧٧م بعودة البابا جريجوري الحادي عشر إلي روما حتي واجهتها مشكلة أدهي وأكبر وهى الفتنة الكبري أو ما عرف بالانشقاق الدينى الكبير الذي استمر ١٣٧٨-١٤١٧م، إذ عزم الكرادلة وغالبيتهم من الفرنسيين إثر وفاة جريجورى الحادى عشر سنة ١٣٧٨م على انتخاب أحدهم ليعود بهم إلي أفينون التي لم تعد لتدني مستواها الاقتصادي، وأضطراب جوها السياسي تصلح للبابوية كما روما، غير ان السكان فى روما أجبروا الكرادلة على انتخاب أوربان السادس ١٣٧٨م، الذى صرح بعدم رغبته في مغادرة روما، وأمر الكرادلة باتباع حياة التقشفية ولكن تجمع الكرادلة الفرنسيين فى مدينة أنياني بعد مدة وجيزة وانتخبوا بابا آخر وهو كلمنت السابع مبررين عملهم بان أوربان السادس قد فرضته الجماهير عليهم وأخذ كلمنت السابع يعد العدة إلي أفينون[١] وهكذا أصبح للعالم المسيحي بابا وان بدلا من بابا واحد.

بدأت الفتنة الكبري في تاريخ الكنيسة الرومانية بوجود البابوين السابقين المتنافسين، ودامت أربعين سنة تعرضت فيها البابوية لهجوم سافر علي كافة الجهات، ولقد حدث في تاريخ الكنيسة أن تقلد عدة

---

(1) - stryer and munro: op. cit. p. 426 orton: op. cit. 358.
(2) - pirenne: la fin du moyen age- p.95 .
fisher; A History of Europe. London 1957 p. 48.
عبد القادر اليوسف: العصور الوسطي الأوربية، ص٣١٤.

باباوات العرش البطرسي في آن واحد نتيجة لتدخلات السلطة الزمنية، غير إن المسيحيين كانوا يعرفون حقا من هو البابا الشرعي ومن هو المزيف، أما في وقت الفتنة الكبري فقد إلتبس الأمر على الناس ولم يتبينوا صحة الأمر بالنسبة للبابوين اللذين تم أنتخابهما من قبل مجلس واحد فى ظروف مرتبكة، إذ ساندت إيطاليا أوربان السادس بينما أيدت فرنسا كليمنت السابع ونظراً للعلاقات العدائية بين حكومتي فرنسا وانجلترا فقد دعمت الثانية البابا أوربان السادس [١].

أدت الفتنة إلى انقسام حاد فى النصف المسيحى والأجهزة الكنسية وأثارت نقاش المفكرين حول أهمية مؤسسة البابوية ومدى شرعيتها والتساؤل عن إمكانية وجود سلطة عليا فوق السلطة البابوية فوجد هؤلاء ضالتهم المنشودة، فيما سبق من مؤتمرات تاريخية للمسيحيين[٢].

وقد يبدو هذا الانشقاق قليل الأهمية فى نظرنا اليوم، ولكنه كان بالغ الأثر بالنسبة للعصور الوسطى وتفكيرها، فضلا عن وضع البابوية ونفوذها، ذلك أن العالم المسيحى الغربى سرعان ما انقسم إلى معسكرين كبيرين فوقفت فرنسا وأسبانيا و نابلى وصقلية فى جانب البابا كليمنت السابع، فى حين شايعت انجلترا ومعظم ألمانيا وهنغاريا وبولندا وامراء شمال ايطاليا اوربان السادس، مع ملاحظة أن الاجماع لم يكن تاما علي أحد الباباوات في أى من البلدان السابقة، لاسيما بعد أن لجأ كل بابا إلي تعيين أتباعه في الوظائف الدينية المختلفة واستغلال كفة الوسائل المشروعة وغير المشروعة[٣] لجمع الاموال من

(١) عبد القادر اليوسف، المرجع السابق، صفحة ٣١٥.
(٢) سعيد عاشور: المرجع السابق، ص٥١٤.
(3) Strayer and mnnro, op-cit. p. 431.

الاهالي لنفسه دون خصمه، وليت الامر وقف عند قيام اثنين من الباباوات وحزبيين من الكرادلة و اثنين من رجال الدين المتنافسين حول كل منصب ديني في الغرب بل أن كل فريق لجأ إلي تسفية رأي الفريق الاخر و اظهاره بمظهر عدم اللياقة والصلاحية، واستصدار قرارات الحرمان ضده، مما ترك أسوأ الاثر في نفوس المعاصرين، الذين بدأوا يعيدون النظر في حقيقة منصب البابوية وأهمية البابا ومصدر سلطته، وهكذا ظهر من المفكرين (١)في القرن الرابع عشر من نادوا بأن الكنيسة الحقة أنما تتالف من جمهور المسيحين، وان التنظيم الكنسي وعلي رأسه البابا إنما هو من صنع البشر، وانه كما يختار الناس حاكمهم السياسي لخدمتهم فكذلك ينبغي ان يكون الغرض الاساسى لوجود رجال الكهنوت جميعا هو خدمة الجمهور المسيحى، وبعبارة أخري. فإن السلطة العليا سواء فى المسائل الدينية أو الدنيوية يجب أن تترك للناس الذين يجتمعون في مجامع عامة ليعبروا عن إرادتهم (٢).

ومن الواضح أن ظهور هذه الآراء أمر له مغزاه وأثره فى الوقت الذى عم فيه الاستياء بسبب مطالب البابوية الباهظة، وأخيرا فكر بعض الكرداله فى إيجاد حل للموقف فعقدوا في مدينة بيزا سنة ١٤٠٩ مجمعا قرورا فيه عزل كل من بابا آفينون وبابا روما وانتخاب بابا جديد يحل محلهما جميعاً، إلا أن هذه المحاولة جاءت لتزيد الطين بلة إذ اختار الكرادله في بيزا البابا اسكندر الخامس الذى لم يلبث أن توفى فخلفه البابا حنا الثالث والعشرين سنة ١٤١٠-١٤١٥م، هذا فى الوقت الذى لم يوافق بابا روما أو آفينون علي التخلى عن منصبه، وبذلك أصبح للعالم المسيحى الغربى ثلاثة باباوات.

---

(1) Cam- med. His V. 6. p. p. 293-294 .

عاشور: المرجع السابق، صـ٥١٥.

(2) Stryer and munro op. cit. 431.

ثم كان أن إعتلي سجسموند ملك هنغازيا عرش الإمبراطورية الرومانية المقدسة (١٤١١- ١٤٣٧م) الذى أدرك مسئولية الإمبراطورية في القضاء على الانشقاق البابوي لاسيما بعد ظهور المصلح (حنا هس) وأفكاره التي أخذت تنتشر لتجذب كوهيميا خارج حظيرة الكاثوليكية، لذلك دعا سحسموند لعقد مجمع ديني عام في كونستانس سنة ١٤١٣م واستصدر من البابا حنا الثالث والعشرين قرارا بشرعية هذا المجمع فوافق بابا روما جريجوري الثاني عشر (١٤٠٦- ١٤١٥م) علي إرسال مندوبين عنه في حين امتنع بابا آفينون بندكت الثالث عشر (١٣٩٤-١٤٢٢م) عن الاشتراك فيه (١).

يعتبر مجمع كونستانس من أعظم المجامع الدينية وأخطرها ليس في العصور الوسطي وإنما في تاريخ الكنيسة عامة فقد اشترك فى هذا المجمع ثلاثة بطارقة، وتسعة وعشرون كارديناﻻ وثلاثة وثلاثون من رؤساء الاساقفة، ومئة وخمسون اسقفا، ومئة من مقدمي الأديرة، فضلا عن ثلاثمائة من فقهاء اللاهوت، وقد بدأ مجمع كونستانس بمناقشة الهرطقة الهسية ولذلك لم يبدأ فى بحث موضوع الانشقاق الدينى بصورة جدية إلا فى أوائل عام ١٤١٥م. على أن مناقشة هذا الموضوع لم تكن بالأمر. الهين فاستمرت مدة طويلة ظهر في أثنائها كثير من التيارات المتعارضة، وإن كان الصالح العام تغلب على روح المجمع، وهكذا أدين بابا بيزا- حنا الثالث والعشرون- وعزل من منصبه سنة ١٤١٥م أما بابا روما جريجورى الثانى عشر فقد استقال من منصبه، ولم يبق سوى بابا آفينون بندكت الثالث عشر، الذى اظهر تمسكا بوظيفته بعد أن زال منافساه عن طريقه، ولكن مجمع كونستانس

(1) cam- med- his- vo l. 7.p. 2.
(2) strayer and munro. op. cit. 431.

عزله سنة ١٤١٧م، ولكن البابا لم يستسلم واختار أن يعتصم فى قلعة حصينة حتى مات سنة ١٤٢٢م، وخلفه كليمنت الثامن ١٤٢٣- ١٤٧٩ ومع ذلك لم يعتد بهما أحد من ملوك أوربا أو كبار أمرائها حتي زالت بابوية آفينون زوالا تلقائيا. أما البابا الوحيد الذي اختير ليرأس الكنيسة الغربية فكان مارتن الخامس ١٤١٧- ١٤٣١م.

وهكذا نجح مجمع كونستنانس في علاج الانشقاق الديني الكبير فعادت إلي الباويوية وحدتها، كما نجح هذا المجمع أيضاً في تأكيد فكرة سيادة مجتمع ديني عام علي البابوية، هذا زيادة علي جهوده في العمل علي إصلاح الكنيسة وتدعيمها.

أما عن البابوية فى النصف الأخير من القرن الخامس عشر فقد كثيرا من مظاهر عظمتها وهيبتها الأولى، فضلا عن ضياع ما كان لها من نفوذ سياسى وروحى تمتعت به في أوائل القرن الثالث عشر، ذلك أن الباباوات أصبحوا في هذه الفترة جماعة من المترفين الذين لا يعنيهم من أمر الكنيسة سوى الحصول على أكبر قدر ممكن من المال لتحقيق مصالحهم الخاصة ومصالح أقاربهم وذويهم، هذا إلى جانب أن الأسر البابلى، والانشقاق الأكبر اضعفا مركز البابوية بوجه خاص و الكنيسة بوجه عام.

وبالرغم من جهود المصلحين وصيحاتهم التى انبعثت من داخل الكنيسة وخارجها فإن البابوية اصمت أذنها وأغلقت عينها وانصرفت عن كل إصلاح. وأخيراً أخذت المبادئ الهرطقية تنتشر سرا فى كثير من البلاد الغربية، وجهروا فى بعضها لتقضى على ما تبقى من نفوذ وهيبة رجال الدين، وتضع الأساس لحركة الإصلاح (١).

(1) painteo: a his. of the midlle ages. p. 428.

ومن أبرز المصلحين حنا ويكلف وجون هس.

وحنا وكلف John wyclif من مواليد سنة ١٣٢٨م في إحدى قرى يوركشير بانجلترا، وتلقى تعليمه في أكسفورد، واكتسب شهرة واسعة في علم اللاهوت جعلت الملك إدوارد الثالث يختاره عضوا بالبعثة الملكية التي أوفدها بروجز Bruges لمفاوضة مندوبي البابا جريجوري الحادي عشر، وبعد عودته عمل على دراسة هامة حول العلاقة بين السلطتين العلمانية والكنسية، وتتلخص آراوه حول الثروات الواسعة التي تتمتع بها الكنيسة وأنها مظهر من مظاهر انصراف رجال الدين عن مهمتهم الأساسية فعاب عليهم عدم تفرغهم لها وانصرافهم إلى أمور السياسة.

وقد صادفت آراء وكلف هوى في نفوس عدد من الأمراء الإنجليز الطامعين في أملاك الكنيسة فاستدعوه إلى لندن ١٣٧٦م ليشرح آراءه مما آثار رجال الدين وعندما بلغت تعاليمه البابا جريجوري الحادي عشر غداة عودته من آفينون إلى روما أنكرها وأرسل إلى إدوارد يطلب منه مكافحة هذه التعاليم وحبس وكلف، ولكن إدوارد الثالث كان قد توفي قبل وصول الأمراء البابوية، إلا أن الموقف انتهى بطرد وكلف وشيعته من أكسفورد فاعتزل بقية حياته حتى مات ١٣٨٣م ولقد استهوت آراء وكلف الفقراء وقسما من رجالات الفكر وبعضا من الطبقة الاستقراطية الطامعة في الاستحواذ على أملاك الكنيسة، وساعدت آراؤه على إذكاء ثورة الفلاحين في انجلترا (٢).

(1) cam-med. his. v. 8 p.171- 173,

سعيد عاشور المرجع السابق ص٥٢٠-

(1) Painter: op. cit. 424.

وللمزيد عن وكلف انظر:

Thompson: the middle ages. v. 2.london. 1920. p. 423
Winne (H.E.): wicilf- oxford. 1929. p.
Cam- med. his. p.v. 7.p.p. 497- 498
Oman: the his of England. London 1980- p. 171.
Lodag: The close of middle ages. London, 1924. p. 208.

وأما المصلح الآخر وهو جون هس فهو من مواليد عام ١٣٧٣م ونال درجة الماجستير سنة ١٣٩٦م، وكان من الخطباء المشهورين في المجالات الدينية ومن المتحمسين لإصلاح البابوية وأصبح رئيسا سنة ١٤٠٩م لجامعة براغ، غير إن ذلك الإجراء آثار غضب السلطات الكنسية فى براغ فأمرت بمنع الأساتذة من إلقاء الخطب الدينية، واصطدم هس بالباويوية بشكل فعال سنة ١٤١٢م حينما أعلن البابا جون الثالث والعشرين حربا صليبية ضد ملك نابولي، إذ أصدر البابا صكوك الغفران لمن يشترك عمليا في الحملة أو يساهم ماديا فيها، لذا انبرى هس لمهاجمة السياسة البابوية وجاء بنظرية متطرفة أشارت على عدم شرعية الأوامر البابوية إذا تناقضت مع شريعة المسيح، وصرح بعدم الاعتراف بالبابوية وإخضاع المحاكم والأملاك الدينية للسلطة المركزية والرجوع إلي الإنجيل في تفسير المشاكل الدينية، وعليه أصدر البابا ضده قرار الحرمان فنحته السلطات البوهيمية مع ابتاعه عن الجامعة، وقد انتشرت آراء هس بين الطبقات الفقيرة أيضاً فكانت سببا فى ثورة الفلاحين.

لقد دعا،مؤتمر كونستانس هس للحضور والدفاع عن الآراء المسنده إليه، واعتقد هس بإمكانية إقناع المؤتمرين بصواب آرائه ولكنه اتهم بالمروق الدينى، ثم أعدم حرقا وذر رماده فى الراين، وهكذا قضى مؤتمر كونستانس على حياة هس، غير إنه فشل في القضاء علي الحركة. الهسية التى استفحل أمرها (١).

---

(1) - Painter: op. cit. 425- 426.

١- ظهور آراد هس وانتشارها فى إنجلترا وبوهيميا وكانت هذه الآراء المنشقة من الكنيسة لا تشكل خطرا حقيقيا على السلطات التقليدية، أما فى بوهيميا فإن آراءه اكتسبت نفوذا اكبر من ذلك بكثير بسبب استقبالها الحماسى من قبل العلماء.

٢- خسارة البابا جون الثالث والعشرين عندما حاول الهروب من كونستانس فقد أعلن أنه تسبب فى زيادة الانشقاق وتم خلعه. أما البابا جريجورى الثانى عشر فقد هجره الجميع ماعدا حفنة من اتباعه ووضع استقالته فى يد آباء المجمع: أما الباب بندكت الثالث عشر فقد أصبح بدون أى تأييد حقيقى وتمت أزاحته رسميا من منصبه وهكذا انتهى الانشقاق وكان المجمع قد نجح فى أداء مهمته الأولى أى إعادة الوحدة الخارجية للكنسية وبدا فى مهمة محاولة استئصال الهرطقات التى تسبب الانشقاق فى وجودها .

٣- كان إحراق ،جون هو أكبر خطوة نحو الكارثة إذ أنها لم تقض على الهرطقة إنما أعطت للبوهيميين شهيدا فى سبيل الديانة الوطنية.

المراجـــع العربية:

١- ارنست باركر

الحروب الصليبية، ترجمة السيد الباز العرينى، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٦٧م.

٢- إسحاق عبيد.

أوربا فى بحر الظلمات، الطبعة الأولى ١٩٩٥م القاهرة.

٣- جوزيف نسيم

تاريخ العصور الوسطى وحضارتها، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ١٨٨٩م.

٤- رانسيمان

الحملات الصليبية من كليرمونت إلي أورشليم، ترجمة نور الدين خليل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٤م.

٥- سعيد عبد الفتاح عاشور.

أوربا في العصور الوسطى، الطبعة العاشرة، القاهرة ١٩٨٦م.

٦- عبد القادر اليوسف

العصور الوسطى الأوربية ٤٧٦- ١٥٠٠، المكتبة العصرية، بيروت ١٩٦٧م.

٧- نورمان. ف. كانتور.

التاريخ الوسيط، ترجمة قاسم عبده قاسم، القاهرة ١٩٩٧م.

٨- موريس كين

حضارة أوربا العصور الوسطى ترجمة قاسم عبده قاسم، الطبعة الأولى القاهرة ١٩٩٤م.

٩- هـ. أ.ل فشر

تاريخ أوربا العصور الوسطى، ترجمة محمد مصطفى زيادة، السيد الباز العرينى وآخرون، الطبعة الثالثة، دار المعارف بمصر ١٩٦٩م.

المراجع الأجنبية

1- Barraclough: Papa Provisions in the late middle ages. Oxford- 1935.

2- Breier, L: L'eglise et L'orient, au moyen age- Paris 1928.

3- Cam- med History.

4- Durant; w : The Age Of Faith 325- 1300 New York. 1950.

5- Fisher: A history of Europe. London 1957.

6- G.Leff: medieval thaught from st. Augustin to okcham (middle sex 1962 .

7- Hay Ward, f: A history of Popes- London- 1958.

8- Kelly: Oxford dictionary of popes, Paris, 1911.

9- Lavisse: Histoire de France 6, vols paris, 1905 .

10- Lodge: The close of middle ages, London 1924 .

11-Lu Chaire,: Innocent 11. Paris 1905 .

12- Mollat, G. The popes at Avignon, London, 1963.

13- Orton; A history of Europe 1198- 1378- london, 1960.

14- Painters, A history of the middle ages 284 1500- London, 1954.

15- Pirenne: Lafindu mayen ages. Tom.

16- Stephenson: medieval history, New York .

17- Strayer and munro: The middle ages 395- 1500 New York- 1942 .

18- Telen bach, G: church state and Christian society Oxford 1958.

19- Thompson; The middle ages- London 1955.

20- Tout, T. F The empire and the paply, London 1909.

21- Tout, T.F. The history of England, London 1920.

22- Ulmann: medieval Papelifsm, London 1938 .

23- Ullman: The growth of Papal' "Government in the middle ages"- London 195 .